Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سبيل العرب الى التصوير والتعبير كان سبيل المجاز الحسي : (واعلم ان العرب اودعت اشعارها من الاوصاف والتشبيهات ، والحكم ، ما احاطت به معرفتها ، وادركه عيانها ، ومرت به تجاربها ، وهم أهل وبرصحونهم البوادي ، وسقوفهم السماء ، فليست تعدو اوصافهم ما رأوه منها وفيها . . . فتضمنت اشعارها من التشبيهات ما ادركه من ذلك عيانها ، وحسها ، الى ما في طبائعها وانفسها من محمود الاخلاق ومذمومها . . . فشبهت الشيء بمثله تشبيهاً صادقاً)[1] ، اذن فالاوصاف لا تعدو ما هو مرئي ، والشيء انما يشبه بمثله ، ولعل ذلك ما جعل ابن سينا يصرح بأن العرب تحاكي الاشياء (الذوات) ، وهذا المرئي (من شتاء وربيع ، وصيف ، وخريف ، من ماء ، وهواء ونار ، وجبل ، ونبات ، وحيوان وجماد وناطق ، وصامت ، ومتحرك ، وساكن ، وكل متولد من وقت نشوئه ، وفي حال نموه الى حال انتهائه)[2] . ويلوح ان المزاج العربي الفطري كان يتأبى على النزوع الفلسفي ، فلم يشأ ان يضفي على ما يراه اي معنى خارجي ، واقتصر على تصوير ما يراه تصويراً صادقاً دقيقاً لا علاقة له بذاته غالباً ، وجعل معيار الفن ان يأتي الشاعر بملاحظة جزئية تنم على وجه الشبه بين شيئين من خلال طابع مرئي يظهر ما كان غامضاً ، ولما كان امر هذا الضرب من المحاكاة الى نفاد ، من حيث تعلقه بمظاهر الحياة المرئية المحدودة ، فقد اضطر الشعراء ، والنقاد الى الانصراف عن العناية بالمعنى (الجوهر) الى العناية باللفظ (الشكل) لئلا يقعوا في التكرار ، ومن ثم فقد أفضى الولع بالتصوير المرئي الى الولع بالتعبير اللفظي ، حتى نجم من قال : ان المعاني مطروحة في الطريق وان الشأن كله في الصياغة[3] فاذا لاحظنا ان بعض النقاد قد

---

(١) عيار الشعر : ص ١٠ - ١١

(٢) المصدر نفسه : ص ١٠ .

(٣) الجاحظ ، انظر : الحيوان ٣/ ١٣٢